دراما التوجع الوجداني على خشبة الصمت

قراءة في قصيدة «ليلة مطفأة» للشاعر سلطان عزعزي

سيف رسام الشرعبي

«لبريق الصمت المكتظ بكأس الليل
خبأت نزيفي
وبكيت
ما عدت لأذكر من أبكاني
لكن هدوء الريح الواقف لحظتها
كان غريباً
وأنا منسكب بسواي ..»

يستهل الشاعر قصيدته «ليلة مطفأة» بنفس يتعلل حشرجات الذات على وتر ذبوله الانفرادي إطلالة نشيج خافت على صفحات المساء . لتتجلى فضاءات التوجع الوجداني من خلال الصورة الاستعارية التي يرسمها الشاعر من أول وهلة في قوله :«لبريق الصمت المكتظ بكأس الليل... »..

والتي تمثل أولى معالم البناء الفني الذي يقودنا في سياق الصورة المركبة إلى الكشف عن ماهية الجدل الصامت خلال ظلال التجريد، فيما تعزى طبيعة التكيف الناجم عن خصوصية المكان وعلاقتها بالعنصر الزمني دلالة الانزياح السلوبي كلازمة من لوازم البحث عن مكافئ الطرف الأول من المعادل الموضوعي للصورة مثولا عند بوابة المخاض الريفي بديناميكية الحدث المتشظية في هاجس المناخ الألفوي لمحدداته عبر مسارين زمنيين «مطلق وذاتي» ، الاول كزمن خارجي باعتبار الليل والثاني زمن الكينونة المستمدة من سلطوية الحدث في اطار المطلق لتبدو الريفية بصفاء جوها ونقاء سريرتها اكثر وضوحا خلف محددات الصورة الرئيسية ومكملة لها، اذ لايمكن الفصل بينهما كما لو كان ذلك أشبه بمعطيات التكوين الفيسلوجي لمعيارية الحياة وهذا ما يؤكد احتمالية الراهن بوثوق العلاقة بين متلازمين عند نقطة الحدث مما يشي عن روعة الفضاء التخيلي والحس المرهف لدى الشاعر وما ينوي به من ملكات القدرة على الايحاء من خلال التعبيرات ذات الطابع الاختزالي للمؤثرات المنعكسة ضمناً في ذاته فضلاً عن استخدامه للالفاظ التي عززت من اجواء الحزن في دائرة المحيط المأساوي كـ«النزيف ، البكاء ، الصمت ، الاكتظاظ، الليل ..» حيث نجد انها تتآزر في نفس الشاعر لتكتمل من خلالها ابعاد الصورة الدلالية في مضمار الواقع الذي اسقط رهان الذات المنصهرة في هوة النزق العاطفي في حين يعي الشاعر انتقاء الالفاظ ذات القيمة التعبيرية المشروطة بوجودها حيث لم يكن اعتباطيا استخدام لفظة «كأس» بل مقصوداً جاء به الشاعر في قوله : «كأس الليل» رغم اختلاف القصد من مدلولي كل منها ولفظة «كوب» لما يشترط في الاولى مما لو تحقق عدمه لزم الثانية فـ«لايقال كأس إلا أن يكون فيها شراب فإذا كانت لا شراب فيها فهي كوب» (١) بيد ان الشراب هنا من نوع آخر وهو ما يحتويه الليل مزيجا من عصارة الألم وكحول المعاناة ، التي افردت للشاعر نشوتها جموح التمرد خارج حدود اللغة المعجمية روحا ومعنى . اما قوله في السطر الرابع « ماعدت لأذكر من ابكاني» جملة تقريرية مباشرة كان يجب ان يستغني عنها الشاعر .. وبما انه قد بدأ بصورة مبهمة إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً فسرعان ما ينكشف هذا الغموض ويتلاشى من خلال أسقاط «الأنا» على الآخر في السطر السابع بقوله : «... وانا منسكب بسواي» وهذا في حقيقة الامر تعاملاً زائفاً قد يلجأ اليه الانسان جاعلا من الاستغراق الخيالي أداة الاتصال غير المباشر للهروب من الواقع .. إلا أنه يستدرك فيما بعد حقيقة اتصاله بالواقع مرة أخرى . كما هي الحال لدى الشاعر فيما يبدو من خلال صورة المفارقة «التقابل الدلالي» حين يطل من شرفات انسانيته المبتذلة حد التأنيب معاتباً غرائزية القسوة فيه قائلاً : «ما أقساني .. حتى فوق سفوح النشوة مهموما» .

وبرؤى الحائر ينطلق الشاعر إلى عالم الشغف متسائلا «هل يكفي شغف العابر ،، ان يدخل من جيب الوردة منطفئاً؟ أم يتمهل حتى يغفو البستاني قليلاً في قاع اللون؟» بأسلوب يجسد من خلاله فلسفة البعد الكيفي للتعامل مع فوضى النفس ارتباطا بالواقع والارتقاء به مستوى الولوج في خلجات الاحتضار الروحي الأكثر اتساعا ليتسنى له ممارسة طقوسة الوجدانية فضلا عن خاصرة الحيرة وركلات الشجون التي تتزاحمها في خضم المداهمة بليدة السطو على شاطئ حلم ينسجه الشاعر جمالا فنتازي الانتماء في غمار اللحظة .

«انت سقطت بكف الدهشة منكسراً
تتملى في كأس اللغو الفارغ عن جدوى الفيضان
لكن عواء الحلكة كان يمشط خصر الوقت بوحشته
قبل مجيئ ،
يتركنا احفاداً للارق المزهر
من ارصفة الاحلام»

ويترك الخطاب الشعري فيما سبق ضمير المخاطب الحاضر «انت» فجوة حلزونية تحول بين الشاعر ومدلوله برزخاً من نار المكوث على قطبي الحزن وكلاهما يلج مع الليل حتمية الوحشة منتجعاً للسراب .. امتداد للارق ومضمونا طوى سجلاته خريف الحلم لتكشف عن ساقيها الاحزان جلية التمرد كما تبدو من خلال التجسيم الاستعاري في قولة «عواء الحلكة» حيث تجسمت الحلكة ذئبا مفترساً لما فيها من الصفات التي توعز بعدم الاطمئنان إلى المستقبل في النفس والذي لايراهن عليه الشاعر هنا بل جعل ما تبوح به السطور الآنفة الذكر تأكيداً على ذلك .

ومن خلال قوله : «انت رشفت بريق الصمت المكتظ على مهل ،
وانا محتد بحريقي
لملمت لحزن الليلة أهداب دمي
آخيت نزيفي وبكيت» .

يعادو الشاعر في سياق الانسجام الاستعاري ملازما تكرار الضمير «أنت» مرة أخرى في بداية المقطع الثاني وكأن المخاطب رفيق رحلته المأساوية طالما وقواسم الحزن المشتركة يجتمعان على متن الصمت ، الذي نجده يتكرر قرب النهاية بنفس الاسلوب الذي بدأ به الشاعر في مطلع القصيدة دلالة على ان الحياة حلقة وصل بين الماضي والحاضر بيد أن لاجدوى فيما آلت اليه الامور سلفا فكانت اللحظة نقطة تحول آثر فيها الشاعر منطوياً بقناعة ايمانه المطلق العودة إلى الواقع مستسلماً لعجزه امام غطرسة الليل، حيث لايسعه إلا أن يتصالح وأحزانه بكل ما يخول له الصمت منطفئاً وليلته في البكاء .

هامش

(١) ابن هشام «شذور الذهب في معرفة كلام العرب» ت/محمد محيي الدين عبدالحميد «د.ط» هامش ص ٤٥٣ .

ممدوح مسبّع الكارات

رشاد أبو شاور

■ هو الشاعر، الروائي، الصحافي، المترجم، الكاتب المسرحي، السيناريست، الأستاذ في المعهد العالي، ممدوح عدوان..

وهو إلى ذلك لم يكتف بكل هذه المهن التي واحدتها تكفي وتفيض، وتتسبب بمتاعب لا حد لها، وتحتاج جهداً فوق الطاقة.

عرفته حين قدم إلى دمشق وانتسب الى جامعتها، وكنت في المرحلة الثانوية، والذي عرفني به هو الشاعر، إذ كان يكفي آنذاك أن تشارك في أمسيتين، أو ثلاث من أماسي الجامعة، وفي «البوفية» الذي كان يتوقف عن تقديم الوجبات السريعة والشاي والقهوة للطلاب والطالبات، وترفع الطاولات، وتصف الكراسي لاستقبال محبي الشعر الذين كانوا يتوافدون فتياناً وفتيات رغبة في السماع- أو- والله أعلم- لاستئناف همسات الغزل، وتراشق النظرات، باستغلال ضجيج التصفيق، وصوت الشاعر المرتفع، الصاخب، الساخط، المتأوه..

ممدوح بدأ هجومياً في مقالاته المبكرة التي كان ينشرها في الصحف الدمشقية، فهو ريفي، وهو يشعر بأن المدينة لاتقيم له الاعتبار اللائق، هو الجامعي، الشاعر الصاخب الحضور، على عكس زميله علي كنعان الهادئ الملامح والصوت والحضور الشعري.

يقال بأن صاحب بالين «عملين، أو مهنتين» كذّاب، ولكن هذا لاينطبق على ممدوح عدوان لأنه صاحب سبعة كارات «أي مهن» إذا اعتبرنا أن الكتابة بكل تبايناتها مهناً.

ممدوح بدأ شاعراً وصحافياً، وهو درس الأدب الانجليزي في جامعة دمشق، وبما أنه «كاتب»، يعني أديب، وهو التعبير الأكثر مهابة، فإنه قادر على الترجمة لذا لا يجب أن نستغرب أن يبذل بعض الجهد في الترجمة.

أما الرواية فهو لم يحترفها، وإن كتب بعد حزيران ٦٧ رواية صغيرة هي «الأبتر»، وهي قصة رجل تمسك بالبقاء في قريته في الجولان، وهي أقرب الى القصة الطويلة لا إلى الرواية، ومن بعد عاد وفاجأنا بروايته الكبيرة حجماً، وقيمة، وجهداً، أعدائي.

في الحوار الذي أجراه معه علي سفر ونشرته الرأي الأردنية، الجمعة ١٢ آذار، يبدي ممدوح رغبته في أن يغني، وليس ذلك فقط بل يتمنى لويعزف الموسيقى، وأن يرسم، وهو بعيد رغباته تلك الى غنى الإنسان الداخلي.

قبل سنوات أبدى ممدوح أسفه على عدم اجادته «الضرب» على الطبلة، لا تستغربوا، فممدوح إنسان «برّاني» يميل الى التعبير عن نفسه بالصخب، باعلان فرحه، ولذا لجأ للكتابة المسرحية، وأحب أن يدرس في المعهد العالي للفنون المسرحية لشغفه بالتمثيل مستغلاً إصغاء طلابه وطالباته.

عندما بلغني نبأ إصابة ممدوح بالمرض- لا أحب ذكر اسم ذلك المرض اللعين- لم أصدق، فحيوية ممدوح تتنافى مع المرض، قلت: لعله يمثل، وقد ازدادت قناعتي عندما رأيت صورته وقد بدا مثل «رونالدو»، يعني حليق الشعر- وحده فريق كامل- وبنظرة ساخرة مواربة كأنه يأخذ «بوزاً» مقلداً بول برايتر، أو كوجاك..!

لكن الأمر جدّي، أي أن ممدوح أصيب بالمرض، الذي دهمه على غفلة، ودون أن يشعر بالألم، سرق ذاكرته وأصابه بالنسيان لفترة، وعندما استفحل الأمر قرر ممدوح المواجهة، واستنفر طاقاته الكامنة في عمق شخصيته التي كان يظهر منها بعض ماتخفي، وهو قليل من كثير يختزنه، وأخذ في مباطحته على طريقة الفلاحين الأصلاء.

صدّقت على مضض أن ممدوح عدوان مريض، ولذا ماطلت في الاتصال به خشية أن يؤكد لي الأمر وإن بطريقته الساخرة، أو يبدي الغضب من تصديقي بأنه «وقع» في براثن المرض..

آخر مرة التقينا فيها في «عمّان» لم يظهر عليه مايشير إلى المرض وإن بدا متألماً، وهذا طبيعي، فمن هو الذي لا يتألم في بلادنا، إلا إذا كان من شريحة اللصوص والسماسرة أو ممن تبلدوا تماماً، أو تحيونوا كما في كتاب ممدوح الأخير «حيونة الإنسان»، كانت معه زوجته «أم زياد»، وسهرنا في بيت الناقد والكاتب «نزيه أبو نضال» والسياسة، والأمة التي حالها يسرّ العدو ويحبّر عقل الصديق، ولذا كانت سهرتنا جدية أكثر من أي سهرة سلفت، ولا غرابة، فماالذي يضحكنا سروراً وبهجة ونحن بتنا مضحكة العالم!

في الحوار الذي نشرته الرأي يجيب ممدوح بصراحة المتألم عن الالتباس الذي يجد نفسه فيه: أنا واقع في الحقيقة في «فخ» منذ الثامن من آذار ٦٣ أبناء المدينة يقولون هذا ريفي من موجة الريفيين الذين جاءوا كي يسطوا على المدينة، وثانياً: السُنّة يقولون هذا علوي، و ثالثاً: الشيوعيون يقولون هذا بعثي، والبعثيون يرونني خارجاً عن القانون، والعلويون يعتبرونني من الخوارج!

لكن ممدوح عدوان لايكف عن الكتابة، وبالسبعة كارات، فهو كشاعر من ألمع أبناء جيله، وهو كمترجم نقل إلى العربية روائع في مقدمتها مذكرات كازنتزاكي، وهو كسيناريست قدم للتلفزيون أعمالاً لا تنسى في مقدمتها الزير سالم وفي الرواية تقف أعدائي مع شوامخ الأعمال الروائية العربية، وهو كأستاذ يشهد له تلامذته، وككاتب صحافي يكتب نثراً يقرأه المثقف، والقارئ العادي البسيط، ويفهمه الجميع، ويستفزهم سلباً أو إيجاباً.

بعد قراءتي للحوار رفعت سماعة الهاتف وطلبت دمشق، فجاءتني صوت «أم زياد»- زياد عدوان صار زميلاً في الكتابة، فهو شاعر، وناقد مسرحي، وكتاباته بدأت تظهر في القدس العربي، وهكذا يكون فرخ البط عوّام- فحكينا كثيراً، وكان ممدوح نائماً ولقد رفضت إيقاظه لأنني لم أشأ أن أحدثه حديثاً عاطفياً جداً بما يثقل عليه.

ممدوح رفض أن يغيّر أسلوب حياته، فهو يدخن، ويسهر، ويواصل الكتابة .. وربما يكون الآن قد تعلم العزف على الطبلة، لا ليسلي نفسه، ولكن لأن حال أمتنا يستدعي أن نطبّل، فكل الفنون لاتكفي لفضح واقعنا العربي ولذا لابد من «الجنون» كما كتب ممدوح، الجنون الذي يعصف بالعقلانية الزائفة التي تستبد بحياتنا، وتتفهها، وتمسخ إنساننا العربي، وتحيونه!

قصة قصيرة

تاريخ حب نرجسي

أحمد صالح الرداعي

همهمات رجل شريد.. يقطن صومعة ماض موجع.. ينهض لأداء فريضة الذكرى.. في ذات الشرفة نفسها.. ويذرف ماء حسرته بإناء محبة فائضة الألم.. يدلق على رصيف المناجاة.. تخاريف البوح المطبوع باللوعة عاشق ما.. فقد أنيسة وحدته في ظروف غامضة..

كوخ حنان..وامرأة ذات جمال.. دفنتني بمقبرة حب.. هزت عرش عالمي وقلبت موازيني رأساً على عقب .. كنت وجرحها توأمين .. انجبتنا المعاناة على قارعة الألم.. كانت تغرد فوق جذع كعصفورة شجن.. توقظني في صباحات العمر.. تصنع لي قهوة حلوة بمزاجها الرائق.. تطعمني كنورس البحر ، ترعاني في حقل عينيها.. كغزال فقد أمه للتو .

وفي لحظات التجوال . كنا أروع حبيبين نمتطي صهوة الفرح . نضحك فوق سجادة الغيم .. ونرتب الوان قوس قزح.. نسابق الريح.. نتساقى رومانسية المشي على الرصيف.. نصعد إلى أعالي القمم.. نتذكر ماضينا المتهم بالنسيان ونبكي في حضرة الغروب .. نهطل الدمع ملياً.. ونتوه في عناق حار.. فنعود منهكين تماماً نحل حقائب التعب.. يا لها من ذكريات موجعة.. تمزق نياط القلب بالحسرات ، صدمة الفراق المرعبة.. وفداحة الطعنة المؤلمة من حبيبة كانت تعني لي الكثير ، حريقة ألم.. وانتفاضة ندم.. قالوا لها.. أني زير نساء، لص كلام معتوه عشق عابر سبيل يتخبط كطائر ضال دون عنوان أو هوية وانني أمارس رذيلة الطيش بأروقة العبث.. استنزف ضياعي المجاني بمطاردة بنات الهوى.. لكنني بريء من الزيف فمن يصدق.. حتى قلبها النقي ما عاد يتسع لعتاب مر أو مساحة للذكرى فقد اعماها رماد الغيرة. ربما عن رؤية الحقيقة المحجوبة خلف ضباب الخدعة آه من هذا الخذلان الفادح.. لم أعش هدوئي يوماً طيلة سنتين وأنا مقهور كطاؤوس منتوف الريش منسي كغرباء المنفى ، انتصب وحيداً كعمود الضوء بانتظار امرأة لا تأتي ابداً.. عذرها الوحيد أنني دائماً أجيء على اطلال اللقاءات الهاربة منذ وداع كئيب ومسجون بسراديب الأحلام الضيقة مكبل بزنزانة تدعى الواقع ، مذبوحاً بمقصلة امرأة أحبها لا أدري بالضبط ما أسميها .. خائنة .. مخلصة.. مصاصة دماء ، لطيفة أم إرهابية نعم إرهابية مادامت نسفت قلباً بريئاً وجعلته ينزف أشلاء وخيالات انتحار ومواعيد جنون.. يوم وداعها صعقتني أبواق الخيانة ، علقتني بأجراس البكاء وقرعت بأنفاسي نواقيس الآآه أصبحت حلماً بالغ العصيان ، أمنية مسجونة بقبضة المحال ، ها أنا احترق فوق جمر الترقب اتقاطر حنيناً لرؤياها عيني ترف اشتياقاً وقلبي يتشبث بأهدابها البعيدة ..أأقول بأني متعب واحتاجها أم أغمد يراعي بمنتصف الجرح وانساها ... كلا والف كلا ، قسما بحرارة الدموع التي تحرقني كالجمر ابداً لن أجوب خارطة النساء بحثاً عن موطن حبيبة يقطنها القلب يوماً.. يا أيتها المتعبة بين احضان عمري الشقي ، أريد أن امتلئ كالشهيق بك ... أدخليني إلى عتبات روحك لأمر من زقاق نبضك إلى معناي ، خذيني إليك خبئيني في معطف عينيك بللبني بأنداء تطفئني من حرائق الشهقة الأخيرة فعما قليل عما قليل سأتعثر على جسر البكاء وقلبي المشنوق أعلاه.. سيسقط على رصيف الضلوع ملطخاً بين أنهار الدموع..!!

أنسجة في خلايا الحياة

حاتم المهدي

■،،بذلك الحنين الحائر كانت مقابلته لها إيذاناً بفتح إدراك جديد يختزل العقل بكل ماحوى من ارهاصات في التفكير.

فصعوبة أن يستجدي الأمل من الآخرين كان إحدى مقومات البقاء يسطر في الفضائيات أحلامه وطموحاته التي ألفت الارتباط بمصيره منذ ذلك الحين الذي التقيا معاً ينشدان الأمل المحفوف بشيء من الخوف ضمن سمات طقوسية طبعت عليها الحياة ربما بنبوعاً من الافراط في أحكام الذاتية الجائرة التي طُمرت وأثرت في استخلاص الناس للحياة رغم عدم تغير المكان الذي ظل موحشاً لزمن، فقد أدمى المكان ذاك أقدام الحائرين الباحثين عن انسجة في خلايا الحياة التي تبتغي التجديد في اصطفافها كمشوار طويل يمتد من الشعور الميؤوس منه، ولاينتهي عند حدود معينة في هذه المساحة من الحياة.

بوصلة من مداد لايمل يستهجن الجمال ويدنو من أنقاض الأشياء، يتذكر من خلال تلك البقايا حباً قديماً ووجد أقدم.

يتقاطر الى النظر في الأعالي يستدل على مكامن الفراق وأمل العودة، بذلك الصوت القادم من وسط الطفولة بطهرها وبراءتها.

يستدل على ذلك الصوت بأنامله التي ترسم على سواد المعصية كل يوم أصداء من الود المعبق بالجمال الذي لايعرف النفاق.

وظلت حبيسة المكان منذ مجيئها ساعات طويلة تحفر للسماح مكاناً يبرق منه الصفاء في مراسيم العمر الذي يبحث عن الجمال كبسمة غابت عن ثنايا الروح.

وأثناء حضورها الدافئ كانت إيماءتها تضفي جواً من الألفة في النفس..

تخاطب الحقيقة بلغة متفردة لم تكن متداولة مفرداتها في محيط ذلك السياج الذي حفّ بذلك العمر.

وظلت الشمس مشرقة تبدد التيه والاحباط وتمد الحياة بالأمل، فلماذا إذن نياس والغيم يقاسمنا الهيام والصد، فلماذا تنطلق العبرات مكبوتة تدنو من القسوة رغم بُعدها عن مسيرة الحياة وآفاق المستقبل ليبقى من هذه الحياة الجمال يطوي أركانه، يرتل أسمى عبارات الإطراء والمدح، ينعم بأفياء من واحات الصدق المطلق في التعابير مفرطاً في الكلام هو، صامتة هي جادة في كل مايعتريها من وجدان يصيغ شرفات الحياة التي تحيا في كنفها.

قارئ الأفكار يرصد أنداء الطبيعة بكل تحركات رياحها الموجوعة من قسوة الزمن الذي لايترك أثراً للرحمة التي طُبعت عليها الحياة بنواميس خلدها الأولين مدركين أن الأمل هو من يسطر الحياة بآفاقها نحو المستقبل..

وهنا نتساءل: لماذا اختارت القلم الرصاص لتكتب فيها شدو أفكارها الباعثة على الاحترام الجم الذي يكبح القهر ويبعث الود في النفوس؟

وأمن أن الشمس ماتزال مشرقة حتى وإن لفها الظلام فسرعان ما تتجلى الصور وتترك الأخيلة تمزج الواقع بنوع من الجد الذي لايقبل إلا علو هامة الحياة بفرضية أقرتها قدرة الله في الكون الواسع الذي لاتأفل شمسه ولا يغيب قمره.

وهي كحقيقة أقرتها الحياة بجلاء وستظل تحفر اسمها في صميم الذات تعايش الآمال والطموح والجمال وكل مسميات الانطلاق نحو التجديد الذي يمتلك زهو الحياة بأنسامها وروحها.

ياسمين

وكانت نسمة الياسمين التي أحبها ناظم إحدى مقومات الأمل في سطور الحياة فقد نظم من اسمه شدواً من أفكار علقت في ذاكرته عن حبها العميق بعد قهر لاقاه في سنواته الأولى التي ظل معها حبيساً لذكريات موجوعة بناجي الليل يتمتم بكلمات حرّى غيرت مجرى حياته تلك الكلمات كررها ناظم مراراً وأطلق عليها من بقايا الذاكرة ينفرد بنفسه ويهمس بإيحاء ما كُتب من الشعر «ياحبيبي لن نتوب ليس في الحب ذنوب، بيننا عهد القلوب عهد علام الغيوب»..

وكان العهد الذي قطعه أن يستمر في قطف واستنشاق أريج الياسمين رغم العثرات التي تقف حائلاً في مسيرة الحياة التي رتب لخوض المعركة فيها وكانت النهاية أن استمر الحب عنواناً للأمل، نبراساً للتردد بالثقة التي منحت للحب الصادق الذي لايعرف البين والتخلي فهو قدر مكتوب كون الناظم مع الياسمين وجمعهما في متكئ لايمل فيه الجلوس ولايحمل في طيات أوراقه الأحزان.

محسن محسن الجبري

■الأدب الشعبي العاطفي في ريفنا اليماني.. نتناول جزءاً منه في مقال اليوم وكلنا على علم أن المرأة اليمنية في ريفنا اليماني تشارك أخاها الرجل في كل ميادين العمل اليومي في كل مراحل التاريخ اليماني من عصربلقيس الحكمة التي حكمت أقدم دول الحضارة بالشورى والديمقراطية الى عصر السيدة أروى بنت أحمد الصليحية التي حكمت اليمن الكبير بالعدل والمساواة وبنت وعمّرت ماعجزت عنه الإمامة طوال عصورها المظلمة كما قال الشاعر عن هذه الزعيمة العظيمة هذه الأبيات الشعرية :

ليت أهل اللحى الطويلة تبني
مابنته الضفائر السوداء
صنعت للبلاد ماعجزت بالأمس
عنه العمائم البيضاء

إن المرأة اليمانية حفيدة بلقيس وأروى في ريفنا اليماني شاركت أخاها الرجل في حمل السلاح للدفاع عن السيادة الوطنية وقتال أقوى وأكبر جيوش الامبراطوريات التي دُفنت في ترابنا الغالي ونضرب بالمناضلات اليمانيات اللواتي قاتلن الاستعمار البريطاني في بافع وردفان وعدن وفي صنعاء أيام السبعين المجيدة وفي كل معارك الدفاع في كل مراحل النضال كما قال جد آل سحلول

قد إحنا ويّاهُن على البندقية سبق
قبضنا كراسيها وهن بالمعانق

أما مشاركة المرأة اليمانية في ميادين الزراعة في ريفنا اليماني فحدث ولاحرج وقد قال الشاعر:

نساء القبائل يعملين في المال
مرة فلان قالوا مرة ورجال

وبرغم دجل الإمامة وتزمت المتزمتين الذين حاولوا منع مشاركة المرأة اليمانية أخاها الرجل حتى في حفلات الأعراس والأفراح بالمحاصيل الزراعية الوفيرة، وفي كل المناسبات بالأغاني والرقصات المشتركة بين الرجال والنساء، فقد فشلت كل محاولة متخلفة وتحدت المرأة الحضارية كل محاولة وقالت الشاعرة اليمانية المتحدية لدجل الإمامة وتزمت المتزمتين:

غصن الشذاب ما بيننا وبينك
تخطي من الباب ماتشل عينك

وقد أكدت الشاعرة اليمانية أن الإمامة والمتزمتين هم وحدهم الذين يتحملون مسئولية شل نشاط المرأة وعزلها عن مشاركة أخيها الرجل في العمل والانتاج وتجميد نصف المجتمع وسجن المرأة المبدعة داخل أربعة جدران وظلمها ظلماً قاسياً ما أنزل الله به من سلطان وحرموا على المرأة التعليم مع العلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والنساء شقائق الرجال» وأعطى الدين الاسلامي للمرأة حقوقها كاملة غير منقوصة وقال الله تعالي في كتابه الكريم «وإن آتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً» صدق الله العظيم

أما الإمامة والمتزمتون فقد أخذوا حرية المرأة أغلى ما وهب الله للإنسان وقبروها حية عندما قالوا «ما للمرأة إلا الزوج أو القبر» ووضعوا بينها وبين من يحبها وتحبه الجبال والموانع والحواجز واعتبروها سلعة للبيع لمن يدفع أكثر الأثمان، مع العلم بما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «يسروا ولا تعسروا وإذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» وقال لمن يريد أن يتزوج بمن تحبه ويحبها «التمس ولو خاتماً من حديد» أو كما قال علمها سورة من القرآن.

لقد حرمت الإمامة والمتزمتون تعليم المرأة وقالوا «المرأة عورة» وحرموا عليها قراءة القرآن لأن صوتها عورة ، وقد قالت الشاعرة اليمانية التي تخاطب الجبال الشامخة التي فصل بها أعداء المرأة بيتها ومن تحب :

ياذا الجبال الشامخات الأركان زوحين قليل ميد الحبيب بيتان

ومن الصور الدامية التي رسمتها الإمامة والمتزمتون في ريفنا اليماني هذه الحكاية المأساوية المحزنة التي حصلت بسبب الكبت والحرمان والمغالاة في المهور والتفرقة بين الرجل والمرأة الذين كانوا شركاء في العمل والإنتاج اليومي ولايعرفون التفرقة وكانت علاقة المرأة بالرجل علاقة راقية تمتاز بمكارم الأخلاق والاحترام المتبادل والشرف والشهامة والعفة والطهارة وبسبب محاربة الإمامة والمتزمتين للعادات والتقاليد الحميدة في ريفنا اليمني حصلت هذه الحكاية الدامية..

شاهد شاب حبيبته الشابة التي خرجت من سجنها في بيت أبيها لنقل الماء من البئر البعيدة عن القرية فوق البئر تتكلم مع شاب غريب واشتعلت نار الغيرة في رأسه وقال شعراً:

بديت واقليت واغمضت السواجي وريت
وعقب رديت ياكني غبي مادريت
لوريت ماريت ماقول إني اليوم ريت
ياريت والله علا ماريت ياريت ريت
ريت السماء بيت لكن مايقع قول ريت
والذيب ريته ذلولي وأين ما شتي سريت
ماحد كوي في حياته مثلما أنا اكتويت
مكوى من أول ومكوى عاد أنا به دريت
ياريت أبوها رضي لي باع وانا اشتريت
وماوقع وسط وادي هو يقع وسط بيت

وبعد أن قال هذه الأبيات الشعرية استل جنبيته ووثب نحو الشاب الذي يغازل غزالته واستل المغازل جنبيته ووقعت معركة دامية بين الشابين وقتل كل واحد منهما الآخر وعندما كانت الشابة هي الشاهدة الوحيدة في الوادي جاء سكان القرية وسألوها عن المعركة وقال شاعرهم :

أمانة العهد أمانة ياندي حاجبة
حل الموافاة من ذي خير من صاحبه

وقد قالت الشابة:

الأحمدي والحميدي روسهم خاوية
توافقوا يارفيقي في شعاب خالية
حيد التقى حيد ماحد زد فرق صاحبه
تسمع قطيط الجنابي مثلما الأزهبة

والأزهبة «جمع زهاب الجمل» عندما يشدون عليه الحمولة تُسمع أصوات قطقطة الذهاب، ومما يؤسف له أن هناك هذه الأيام في ريفنا اليماني من يحاولون سجن المرأة اليمنية العاملة داخل أربعة جدران وهي المزارعة والمنتجة وربة البيت ومربية الأطفال والشريفة والمكافحة والمرأة الحديدية في ريفنا اليماني وليست في بريطانيا كما يقولون عن رئيسة وزرائهم..